Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهندى . وأعد لهم السلطان مركبًا كبيرًا ، وزوده بكل معدات السفر إلى الصين لأنه كان الوقت الممكن للإبحار إليها .

وبعد كل هذه المصاعب والمشاق والأهوال ، التى قابلها ابن بطوطة فى رحلته البحرية إلى الصين ، انطلق أخيرًا فى طريقه البحرى الطويل إلى الصين . وبعد إقلاع أربعة وثلاثين يومًا فى البحر ، وصل إلى بحر هادئ أسماه « البحر الكاهل » . ووصف مراكب الصين مرة أخرى قائلا : « وسافرنا فى البحر فوصلنا بعد أربعة وثلاثين يومًا إلى البحر الكاهل ، وهو الراكد ، وفيه حمرة زعموا أنها من تربة أرض تجاوره ، ولا ريح فيه ولا موج ولا حركة مع اتساعه ، ولأجل هذا البحر تتبع كل جنك من جنوك الصين ثلاثة مراكب ، كما ذكرناه ، تجذف به فتجره ، ويكون فى الجنك مع ذلك نحو عشرين مجذافًا كبارًا كالصوارى يجتمع على المجذاف منها ثلاثون رجلا أو نحوها ويقومون قيامًا صفين كل صف يقابل الآخر . وفى المجذاف حبلان عظيمان كالطوابيس فتجذف إحدى الطائفتين الحبل ثم تتركه ، وتجذف الطائفة الأخرى ، وهم يغنون عند ذلك بأصواتهم الحسان ، وأكثر ما يقولون لَعْلى لَعْلى . وأقمنا على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يومًا . وعجبت البحرية من التسهيل فيه ، فإنهم يقيمون فيه خمسين يومًا إلى أربعين ، وهى أنهى ما يكون من التيسير عليهم »[٣٧] . ويقول ابن بطوطة إنهم رسوا ببلاد تعبد الأوثان وتحكمها ملكة قوية متسلطة ، وتسمى هذه البلاد « طوالسى » . ومنها انطلقوا بحرًا لمدة سبعة عشر يومًا حتى وصل أخيرًا إلى غايته الكبرى الصين ، التى تحمل فى سبيلها كل الأهوال البحرية .

وتحدث ابن بطوطة كثيرًا عن زراعات الصين وصناعاتها وأهلها وعاداتهم وبيوتهم وأسفارهم وثرواتهم ونسائهم وجواريهم ، وهو حديث يخرج عن مجالنا ، فيهمنا ما ذكره عن عادات أهل الصين فى استقبال المراكب وتسجيل ركابها فى الذهاب والإياب وسؤال صاحب الجنك أو المركب عن الغائبين منهم ومعاقبته إذا لم يقدم سببًا مقنعًا لغيابهم . كما أنهم يحصرون السلع التى تحملها المركب كما يمليها صاحبها ثم يطابقون ما ذكره لهم على ما يوجد بالمركب ، فإذا وجدوا سلعة لم يذكرها لهم فرضوا عليها غرامة أحد عشر ضعفًا ، وقد وصفه ابن بطوطة هذا الحساب الدقيق ، بأنه ظلم كبير . وفى الصين التقى بالخان الأعظم ملك الصين ، حفيد جنكيزخان ، وركب السفن النهرية فى أسفاره الداخلية وشاهد الحياة المترفة على تلك السفن

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٦٢٥ .